٥ ـ رحلة إلى الهند

غاندى فى دهلى وفى المؤتمر

للدكتور عبد الوهاب عزام بك

عميد كلية الآداب

(تتمة)

ارتقب الناس قدوم غاندى إلى دهلى أثناء اجتماع مؤتمر العلاقات الآسيوية ، فإن حدثاً عظيما كهذا يعوّل عليه الهنادك فى الإبانة عن حضارتهم ومكانتهم ، والتمهيد لدولتهم فى آسيا وفى تأييد آسيا لهم فى العمل للهند المستقلة — لايغيب عنه الرجل الذى يدعوه الهنادك « أبا الأمة » والذى هو أعظم زعيم سياسى ودينى بينهم .

وكان غاندى قبل اجتماع المؤتمر يطوّف فى أقليم بهار ، وهو إقليم فى شرق الهند غربىّ بنغالة ، ثارت فيه فتنة بين الهنادك والمسلمين ؛ والمسلمون قلة لا حول لها هناك فصال عليهم الهنادك ، وفتكوا بهم وقتلوهم قتلا عاماً لايفرق بين رجل وامرأة ، ولا بين صغير وكبير . وكان لهذه الذبائح دويها فى أرجاء الهند ، وأثرها فى هيج الشر بين الفريقين ، وقد هاجر كثير من مسلمى بهار فراراً بأنفسهم ويأساً من أن يعيشوا فى ذلك الإقليم بعد ما شهدوه من هول تلك الوقائع . ورأيت للمهاجرين محلّة فى كراتشى كأنهم لم يشعروا بالأمن إلا فى أقصى الغرب فى ولاية السند ، حيث للمسلمين الكثرة والغلبة ، وهاجر جماعات منهم إلى أقاليم أخرى .

ذهب زعماء المسلمين والهنادك إلى بهار حين ثارت الثائرة ، وطوّف غاندى فى أرجائه يسكن الهياج ، ويطفىء الثائرة ، ويحاول أن يصلح ما أفسدته البغضاء والعدوان والقسوة والفظاعة فلبث أشهراً يجول فى الإقليم .

ثم جاء إلى دهلى أيام المؤتمر ونزل فى محلة الكناسين وهى تسمى بهنكسى كولونى (مستعمرة الكناسين) . وفيها دور صغيرة نظيفة بُنيت لهؤلاء الساكنين وهم من المنبوذين . ولغاندى مسكن يتهم فى دار لها فناء واسع فى صدره معبد صغير وحجرات من الحصير نزل غاندى فى واحدة منها ونزل فى حجرة بجانبها عبد الغفار خان زعيم ولاية الحدود الشمالية الغربية الذى يسمى غاندى الحدود .

وكان الناس يجتمعون إلى غاندى كل مساء قبيل الغروب ليشهدوا صلاته ويسمعوا خطبته .

وقد ذهبت مرة فرأيت إلى يمين الداخل جمعاً حاشداً وقوفاً وغاندى على منصة مشرفاً على الحاضرين وإلى يمينه عبد الغفار خان حاسر الرأس كعادته ... فانتبذت مكاناً أرى وأسمع ، سمعت صبية هندية تنشد أناشيد بلغات مختلفة منها سورة الإخلاص بالعربية . وسمعتها تقول فى أناشيدها راما كريم ، راما رحيم . بهذين اللفظين العربيين .

وراما أحد الأبطال أو الآلهة فى الدين الهندى .

وهذه الأناشيد من كتب مقدسة مختلفة للهنادك والمسلمين والفرس القدماء الخ ويريد غاندى أن يقرّب بين الناس ما استطاع باقتباسه فى صلاته من كتب مختلفة .

وقد عارض بعض الحاضرين يوماً فى تلاوة آى من القرآن . فترك الصلاة فى ذلك اليوم .

ولما جاء للصلاة يوماً آخر قال إنه تلقى رسالة تطالبه بأن يكف عن تلاوة القرآن فى صلواته أو يترك معبد بلميكى (حيث يقيم) وسأل الحضور أفيهم من ينكر عليه تلاوة آيات من القرآن ، فرفع نفر أيديهم قائلين إنهم لن يمكنوه من الصلاة إن تليت آيات من القرآن فترك الصلاة وصمت قليلا وقال إن الصلاة ذكر الله لتطهير القلب ويستطيع الإنسان أن يصلى صامتاً .

ثم قال فى خطبته التى يلقيها بعد كل صلاة : إنه ليس بالرجل الذى يحجم عما يراه واجباً ؛ ولكن دعوته إلى ترك العنف أوحت إليه أن يترك الصلاة إذا اعترض عليها أحد ولو كان صبياً واحداً . ولكن هذا لا ينبغى أن يؤول بالجبن . إنه ترك الصلاة ليتجنب الجدال والعنف . إن العنف من عمل الشيطان وقد جاهده طول عمره

ثم قال : على الذين ينكرون صلاتى ألا يشهدوها ، فإن شهدوا فليقتلوه إن شاءوا . إنه لن يقلع عن ذكر رام ورحيم وهما عنده

إله واحد . وإنه يموت مطمئناً ذاكراً هذين الإسمين .

إن كف عن ذكر رام ورحيم فكيف يستطيع أن يلقى الهنادك فى نوكالى والمسلمين فى بهار ، وهنادك نوكالى ومسلمو بهار قتلوا واضطهدوا فى بعض الفتن .

ولما هم بالإنصراف تنازع الحاضرون نخطب فيهم قائماً خمس عشرة دقيقة وقال فيما قال : إن الغضب لا يجدى نفعاً ؛ وإن عليهم أن يفكروا كيف يداوون جروح البنجاب[1] دون أن يؤذوا أحداً . فإن هذا ليس من دينهم .

وانصرف غاندى إلى حجرته ، وتدخلت الشرطة لحفظ السلام . وكان ذهابى إلى مُقام غاندى فى مساء الخميس ١٠ أبريل . انتظرت بعيداً حتى فرغ من صلاته وحديثه ؛ فجاءنى عبد الغفار خان وشاب من أنصاره اسمه محمد يونس ، ودعوانى إلى الدخول على غاندى فى حجرته ؛ فوجدته قاعداً على الأرض مستنداً إلى الجدار وعليه إزار قصير ، عارى الصدر والظهر . فتحدث عن اللغة العربية وقال إنه حاول أن يتعلمها . وإنها لغة واسعة جداً ، وقال ضاحكا إن للجمل فيها مائتى اسم . وقال إنه قرأ القرآن بالأنكليزية وبالأردية وإنه يؤثر قراءته بالأردية لأن بها كثيراً من الكلمات العربية . فهو يقرأ فيها كلمات من القرآن يجد فيها روحه .

وسألته : أكشفت فى تجاربك الطويلة بين البؤساء عن دواء ينقذ الإنسانية من البؤس ؟

قال : لم أكشف عن هذا الدواء ، ولكنى أعدت الكشف عنه ، هذا الدواء هو الحق وتجنب العنف . الحق هو الدواء . قلت إن المسلمين كذلك يجلون الحق ويقدسونه حتى يسموا الله تعالى — كما سماه القرآن — الحق . قال أعلم هذا .

ثم قال إنه يتكلم كثيراً ولا يجد من يصغى إليه . ولذا يود أن يطيل معنا الحديث ولكنه على موعد .

***

وشهد غاندى المؤتمر مرتين ، شهد إحدى جلساته وحفلة الختام وتكلم فى المرتين فى اتفاق أمم آسيا وفى توحيد العالم كله .

عبد الوهاب عزام

(١) أظنه يعنى الحوادث التى قتل فيها بعض الهنادك فى البنجاب .

صفحة سوداء :

الاستعمار الهولندى

يعتدى على جمهورية أندونيسيا الحرة

للأستاذ أحمد رمزى بك

قضى الأمر ووقعت الواقعة ، وسالت الدماء فى ربوع أندونيسيا ، بعد أن خُيل إلى كثيرين أن دعائم الاستقلال قد وطدت وأن أعلام الحرية قد رفعت ، فإذا نحن بعيدون عن ذلك اليوم . ونأسف مرة أخرى أن يقع بعض ما تنبأنا به ، فقد جهرنا بالقول : إن الدول الاستعمارية أشد اليوم تمسكا بسلطانها من أى وقت مضى ، وإنها تسالم الحركات القائمة وتسايسها وتخضع لبعض مطالبها لكى تتم أهبتها وتستعيد قوتها ثم تضرب الشعوب القائمة ضربات حاسمة ؛ وإن أوروبا تنتظر حتى تضمد جراحها وتجمع شملها وسيكون لها مع الأمم الناهضة موقف جديد . فعلينا أن نستعد لذلك اليوم .

وفى حديث طويل مع ويلكى الأميركى الذى جاب العالم والتقيت به فى منزل قنصل أميركا حينما أتى بيروت صارحته بما أعتقد وقلت له : إن كيان الدول الصغيرة واستقلالها مثل بلجيكا وهولندة والبرتغال يستندان على المستعمرات ، وأن اليوم الذى تنال فيه الشعوب المظلومة المغلوبة على أمرها ، شيئاً من الحكم الذاتى أو التمتع ببعض ما يتمتع به الإنسان فى القرن العشرين من حرية واستقلال ونهضة ، تزول فيه هذه الدول الصغيرة من الوجود وتصبح إما ولايات أو مدناً ساحلية ، لأن بقاءها يعتمد على حكمها للمستعمرات واستغلالها لأراضيها وتحكمها واستبدادها بملايين من عباد الله ، فهل فى نظام العالم الجديد ما يسمح بتحقيق هذه الأهداف ؟ فلم أسمع جواباً من الزعيم الأميركى .

ولقد مضت ست سنوات على هذا اللقاء ، وانتهى عهد روزفلت وويلكى وهما فى مقدمة الرجال العالميين الذين سيذكرهم هذا الكوكب المسمى بالأرض ، لأجيال قادمة ، وتبدلت فى أثنائها